وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية

الأهمية الجيوستراتيجية لقضاء خانقين

رسالة تقدمت بها الطالبة

تسامر مهدي جسام العبيدي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات

نيل درجة ماجستير آداب في الجغرافية البشرية

بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور

مثنى مشعان خلف المزروعي

١٤٣٦هـ

٢٠١٥ م

المبحث الأول

الحدود وأهميتها الاستراتيجية

تبقى الحدود السياسية من المواضيع المهمة في الجغرافية السياسية, حتى وان كثرت الدراسات التي تناولتها, ولكون هذه الدراسة تتناول قضاء حدودي اصبح من الضروري التمييز بين المفاهيم ذات العلاقة بموضوع البحث التي من أهمها (الحدود، الثغور، المدن الحدودية), وقد جاء هذا الفصل بثلاث مباحث, تبين من خلالها ماهية الحدود وماهية المدن الحدودية وأهميتها الاستراتيجية.

١ – مفهوم الحدود

الحد لغة: هو الحاجز بين شيئين ومن كل شيء طرفه ومنتهاه[١], والحد: هو الفصل بين شيئين لئلا يختلط أحدهما بالأخر ولكي لا يتعدى أحدهما على الأخر[٢], وحد الشيء منتهاه, ونقول: حدُدت الدار أحدهما حداً والتحديد مثله, الحد: المنع[٣].

يعد الحد جغرافياً الشريط الذي يفصل بين دولة وغيرها من الدول، فالحدود السياسية ظاهرة بشرية حديثة رسمها الأنسان منذ القرن التاسع عشر تحت ضغط المصالح السياسية والعسكرية والاقتصادية وهي تفصل بين الدول، فالحدود السياسية تحدد نهايات الإقليم, وتمارس الدولة سيادتها بداخلها سواء على الأرض، المياه الإقليمية، والمجال الحيوي[٤].

تخضع الحدود للقانون الدولي الذي يعمل على تقوية الروابط بين الدول المتجاورة ويجعلها تقيم علاقات حسن الجوار فيما بينها بشرط إن تكون هذهِ الدول مقامة على اساس شرعي ومعترف به من قبل المجتمع الدولي [٥] .

الحدود السياسية جزء مهم من الكيان السياسي للدولة القائمة حديثاً, فمنذ ان دخلت الأرض التي هي من مكونات الدولة الثلاث (أرض – شعب – سيادة) عنصراً أساسياً في تكوين الدولة قبل نهاية العصور القديمة والوسطى وبداية العصور الحديثة, أخذت الدول تسلك سلوكاً جديداً في ممارسة

١- أبن منظور, لسان العرب, ج ٩, بولاق, مصر, ١٣٠٠هـ , ص١١٥.
٢- صلاح عبد الجبار عيسى, مدخل الى جغرافية الوطن العربي, مطابع جامعة المنوفية, مصر, ٢٠٠٤, ص١٣.
٣- أبن منظور, مصدر سابق , ص١٢٠.
٤- محمد محمود أبراهيم الديب, الجغرافية السياسية (منظور معاصر), مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, ٢٠٠٨, ص٦٢١.
٥- سالم محمد مفتاح صالح الزعابي, الجوار الدولية للنزاع بين دولة الأمارات العربية المتحدة وايران حول الجزر الثلاث, مطبعة رأس الخيمة الوطنية, الامارات العربية, ط ١, ٢٠٠٣, ص٧١.

سيادتها على نطاق إقليمها[١]. وعلى هذا الأساس فأن الحدود هي ظاهرة شرعية تعرف بها الدول صاحبة العلاقة فضلاً عن المجتمع الدولي[٢]. ولها دور سياسي رئيس في العلاقات الدولية وفي السياسة العالمية فهي محاولة من الأنسان لوضع خطوط وهمية فاصلة على اليابسة والماء [٣].

الحدود في الجغرافية السياسية ماهي الا خطوط تحدد كيان الوحدة السياسية, وتحدد إقليمها سواء كانت مساحة يابسة أم مائية وهذا المعنى لم يعرف الا في القرن العشرين, وقد عرف فردريك راتزل الحدود في كتابه الجغرافية السياسية عام ١٨٩٥م بقوله ((إن نطاق الحدود هو الحقيقة الماثلة, أما خط الحدود فهو تجريد لهذا النطاق, ونطاق الحدود يشير الى نمو أو تقلص الدول))[٤], وقد عرفه بوجز بأنه ذلك الحد الذي يميز حدود الإقليم الذي تمارس عليه الدولة حقوق السيادة[٥], اما برسكوت فقد عرف الحدود بأنها الخطوط التي تعين الإقليم السياسي للدولة وتبسط عليه سلطاتها بصفة قانونية[٦]. تحدد الحدود نطاق الدولة على المستوى الأفقي والرأسي على حد سواء فهي ترفع عمودياً فوق الأرض فتحدد مجالها الجوي وتمتد باطنياً لتشمل النطاق الصخري الذي يرتكز عليه أقليم الدولة حيث نستخرج منه الثروات المعدنية[٧].

يمكن القول بأن الحدود هي الوريثة الشرعية للتخوم التي كانت تفصل بين الإمبراطوريات والكيانات الأخرى, فالتخوم في الماضي كانت عبارة عن مساحة شريطية ضيقة قد تصل إلى عدة كيلومترات وفقاً لطبيعة المنطقة سهلية أو جبلية أو صحراوية. إن التخوم منطقة جغرافية لها طول وعرض جغرافي وهندسي لها صفه طبيعية ثابتة لا تتغير بتغير الظروف السياسية الأ انها تفقد أهميتها ووظيفتها التي كانت تميزها[٨].

١- محمد أكرم الأحمر, الجغرافية السياسية, جامعة دمشق, كلية العلوم السياسية, دمشق, ٢٠٠٩م, ص١٤٩.
٢- عبد المنعم عبد الوهاب, وصبري فارس الهيتي, الجغرافية السياسية, دار الكتاب للطباعة والنشر, جامعة الموصل, الموصل, ١٩٨٩م, ص١٢٥.
٣- أمين محمود عبد الله, أحوال الجغرافية السياسية, ط ٢, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٨٤م, ص٣٣ .
٤- محمد أزهر سعيد السماك, الجغرافية السياسية بمنظور القرن الحادي والعشرين بين المنهجية والتطبيق, ط ١, دار اليازوري للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ٢٠١١م, ص٢٥٠.
٥ -Boggs . S. W. , Internotional , Bound earies , A.M.S., Press, Newyourk , ١٩٦٦ , P ٥.
٦ - Prescou . J. R.V., Geography of frontiers and Bourdries , London , ١٩٦٧ , PP ٣٣-٣٥.
٧- محمود توفيق محمود, مدخل الى خريطة الحدود السياسية العربية, مجلة السياسة الدولية, مؤسسة الأهرام, القاهرة, ١٩٩٣م, ص١٦٧.
٨- بهاء بدري حسين، وعبد الجليل عبد الفتاح الصوفي, الجغرافية السياسية المعاصرة وتطبيقاتها, دار الكتاب الجامعي, ط١, صنعاء , ٢٠٠٦م, ص١٣٥.

تعرف التخوم عند العرب قديماً بالثغور وتكون هذه الثغور مكان أجتماع الجيوش في أغلب الأحيان وتتميز بكثرة مواردها البشرية وهنالك مدن عربية أقيمت على الثغور مثل ثغور الشام وثغور أرمينيا [١], إن الثغور اصطلاحا يقصد بها كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً [٢], وتعرف الثغور قديماً بأنها منطقة الحصون التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصد الروم ولهذا اطلق عليها مصطلح الثغور الرومانية[٣].

اما بالنسبة للتخوم فأنها مرت بثلاثه مراحل قبل ظهور خطوط الحدود والحدود السياسية هي:-

١- المرحلة الأولى: المرحلة التي سبقت ظهور الدول[٤],إذ إن التخم كان يعبر عن المنطقة التي تحيط تحيط بالدولة وتشكل حدودها لكن على الرغم من ذلك لم تظهر أهمية التخم في ذلك الوقت.

٢- المرحلة الثانية: تميزت فيها التخوم بكونها مناطق تتصارع عليها الدول المتجاورة لأضافتها الى مناطقها أو أقاليمها, وفي هذه المرحلة لم يكن التخم مجرد الهامش الخارجي للدولة بل قد تحولت هذه المناطق الى دول مستقلة[٥]. وفي أغلب الأحيان ترتبط التخوم بمناطق هامشية غير معمورة بين دولتين, وان سيادة الدولة تنتهي عند بداية التخم وفي الوقت نفسه استخدمت التخوم كحواجز للحماية[٦].

٣- المرحلة الثالثة: أزدياد عدد السكان وضغطهم على الموارد والتقدم التقني والحاجة الى أراضي واسعة للقيام بالنشاطات المختلفة. والتوطيد الآمن ودعائم الأستقرار في هذه التصميمات [٧], أدى ذلك الى انكماش مساحات التخوم وحلت محلها خطوط الحدود السياسية التي تنتهي عندها مساحة الدول.

ارتبطت فكرة الحدود ولمدة طويلة مع العوائق الطبيعية التي كان يراها البشر حدوداً لمجتمعاتهم سابقاً, لكن هذا لا يمنع من إقامة البشر للحدود بأنفسهم عند نشأة فكرة بناء الاسوار حول المدن كما

١- شاكر مصطفى, المدن في الأسلام حتى العصر العثماني, دار طلاس للدراسات والترجمة , دمشق, ط ٢, ١٩٩٧, ص١٣١.
٢- شهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموي, معجم البلدان, دار الكتاب العربي, بيروت, ص٧٩.
٣ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري, فتوح البلدان, تحقيق رضوان محمد رضوان, مكتبة الهلال, بيروت, ١٩٨٤, ص٢٠. ص٢٠.
٤- محمد أزهر سعيد السماك, الجغرافية السياسية المعاصرة, مكتبة النهضة, بغداد, ١٩٩٨, ص١١٠.
٥- محمد محمود الديب, الجغرافية السياسية " منظور معاصر", مصدر سابق, ص٦٢٧.
٦- خليل حسين, الجغرافية الأقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبولتيكيا, منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت, ط ١, ٢٠١٣, ص٤٩٥.
٧- محمد أكرم الأحمر, مصدر سابق, ص١٥٠.

في الحضارات القديمة في العراق ومصر والهند والصين, كما هو الحال على طول مدينة الموصل القديمة وبغداد العباسية وسور الصين العظيم وجدار برلين, وبتطور الدول الحديثة في غرب اوربا وفي فترة انهيار الامبراطورية الجرمانية ظهرت الحاجة لحدود أكثر دقة وتحديداً بعد مؤتمر (وستفاليا) الذي عقد في سنة ١٦٤٨م, إذ يعد هذا المؤتمر رمزاً تأريخياً لبدء نشأة نظام الدول الحديثة الذي استمر في اوربا حتى أندلاع الثورة الفرنسية في عام ١٨٣٠م, ونظراً لأن سيادة الدول مساحية فأن المساحات التي تحكمها الدول ينبغي إن يتم تحديدها بوضوح[١], لذلك اوضح (كريستوف Kristof) الفارق بين الحدود والتخوم بقوله "إن الحدود ظاهرة حديثة تنتمي الى الحاضر في حين أن التخوم ظاهرة قديمة تنتمي الى الماضي".

يتداخل معنى كل من مصطلحي المناطق او المستقرات الحدودية والتخوم في العلوم الجغرافية في حين إن لكل مصطلح دلالات مختلفة, إذ إن التخوم هي مناطق مختلفة المساحة تفصل بين سكان دولتين وتعرف التخوم سياسياً بأنها منطقة أو شريط من الأرض توُصل أو تفصل أو تخلق منطقة انتقالية بين الوحدات السياسية[٢], وتحدد مساحاتها وفقاً لإعتبارات اقتصادية وسياسية وأمنية, مثل كثافة الاستيطان للمناطق الواقعة قرب الحدود الخارجية للبلاد ومواقع المدن الرئيسة.[٣]

٢-البعد التاريخي لنشأة وتطور ظاهرة الحدود

قبل إن تأخذ الفواصل الأرضية بين الكثير من البلدان شكل الحدود الدقيقة كانت قد مرت بما أطلق عليه تسمية مناطق التخوم وهي الأرض العازلة بين بلدين أو هي البيئة الانتقالية التي لها ابعادها الجغرافية في الطول والعرض أي في الأتساع المساحي[٤], ومناطق التخوم في الغالب تكون نقاط أتصال بين الحضارات المختلفة وكثير ما تتحول مناطق التخوم الى ثغور في حالة حدوث حرب إذ يتم مراقبة العدو أو الهجوم عليه من خلالها, ولها صفة طبيعية ثابتة لا تتغير بتغير الظروف السياسية الا أنها تفقد وظيفتها التي تتميز بها حسب الظروف المحيطة بها[٥], ونظراً لنمو السكان وتزايد الطلب على على الأرضي الزراعية لتلبية الاحتياجات الغذائية, يتم التوسع في مناطق التخوم بوصفها متنفساً لزيادة الرقعة الزراعية، مما أدى الى حدوث مشاكل بين الدول التي دعت الى ضرورة تثبيت الحدود بشكل

١- خليل حسين, مصدر سابق, ص٤٩٦.
٢- فيليب رفلة, وعز الدين فريد, جغرافية العلوم السياسية, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة , ١٩٨٢, ص٢١٢.
٣ - محسن عبد علي, التحليل المكاني لأمكانيات تطوير المستوطنات الحدودية في محافظة ميسان, اطروحة دكتوراه, (غير منشورة), كلية التربية ابن رشد, جامعة بغداد, ١٩٩٧,ص١١.
٤- محمد أزهر سعيد السماك, الجغرافية السياسية المعاصرة, مصدر سابق , ص١٠٨.
٥- بهاء بدري حسين، وعبد الجليل عبد الفتاح الصوفي, مصدر سابق، ص١٣٥.

دقيق بين الدول التي تجاورها, ومع ازدياد حجم التجمعات السكانية والاتصالات بين الجماعات الرعوية, بدأت المنازعات والحروب على الأراضي بين القبائل, وللحيلولة دون وقوع الصراعات أصبحت القبائل تميل لعقد الاتفاقيات تحدد مناطق الحدود الفاصلة بينهم, وأول آلة استخدمت لرسم وتوقيع الحدود على الأرض هي المحراث فقد أستخدمها الرومان وبتطور المدن ظهرت فكرة تحديد الحدود واصبحت هذه الفكرة اساسية في القانون الروماني[١]، لاسيما في مرحلة قيام دويلات المدن إذ كانت الأسوار حول المدن شكلاً من اشكال الحدود فضلاً عن أغراضها للحماية والدفاع عن المدن عندما كانت تقام عليها الأبراج ويتم الدخول أليها من خلال الأبواب.

تختلف خطوط الحدود كثيراً عن مناطق الحدود, حيث إن لكل واحد منها مميزاته التي يختلف بها عن الآخر, ومن ابرز هذه المميزات ما يأتي:-

١- تتميز مناطق الحدود بأنها نطاقات من الأرض تشمل مساحات صغيرة أو كبيرة تخضع لتغيير مستمر نتيجة لممارسات البشرية, وتوجد في مساحات خالية بين دولتين يمكن للإنسان إن يستغلها أو يستقر فيها, ولها خصائص جغرافية وفيها موارد يمكن استثمارها, اما خطوط الحدود هي خطوط محددة هندسياً يعبر عنها في الخرائط بخطوط أو نقاط وهمية لها طول وعرضها معدوم اذا ما تم القياس بطولها لأنها شريط فاصل بين دولتين ويمكن إن يعبر عنها بدعامات كونكريتية تبعد الواحدة فيها عن الأخرى بنحو كيلومتر واحد مشياً على الأرض, ويمكن تمثيلها بأسوار خشبية, أو خطوط من الأشجار أو أسلاك شائكة فهي خطوط وهمية أحياناً, او طبيعية في احيان أخرى تعمد بين أقليم دولة وما يجاورها من أقاليم الدول الأخرى او غير الخاضعة لسيادتها[٢].

٢- منطقة الحدود نشأة بسبب ظروف الاحتكاك بين الدول المتجاورة وهي تمثل مناطق انتقال بين التوزيعات البشرية والطبيعية وتتعدد فيها اللغات وتتغير فيها الأنظمة الاقتصادية، أما خطوط الحدود فتسند على اساس شرعي حيث إن الحدود ظاهرة قانونية شرعية علماً بأن الشرعية لا يعترف بها في بعض الدول لأن الحد السياسي مرادف لسيادة الدولة[٣], وفي حالة عدم الاعتراف بسيادة الدولة لا يتم الاعتراف بحدودها.

٣- تتميز منطقة الحدود بأنها أكثر ثباتاً من خطوط الحدود؛ لأن خطوط الحدود في تغير مستمر, ففي الحرب العالمية الثانية حدثت تغيرات في خطوط الحدود بين معظم الدول المتجاورة، حيث إن مناطق

١- محمد أكرم الأحمر, مصدر سابق , ص١٥٠.
٢- محمد سامي عبد الحميد, احوال القانون الدولي العام, ج ١, ط ١, الدار الجامعية, الأسكندرية, ١٩٨٩, ص١٥٦.
٣ -Kirestof, L. , The nature of frontiers A.A.A. of Geographers Vol. ٤٩, ١٩٥٩, PP ٢٦٢.

الحدود تكون ديناميكية متغيرة وغير ثابتة في حال تعرضها للاحتلال, فيحدث تغير عليها بضم أراضي جديدة في حين تكون أكثر ثباتاً عندما تواجه عقبات طبيعية كالبحار والسلاسل الجبلية والصحاري أو عقبات بشرية كأختلاف الأجناس والأعراف و اللغات[١].

٤- إن خطوط الحدود تتميز عن مناطق الحدود, بأنها لاتضم موارد أقتصادية وبشرية, وهي ظاهرة سياسية وليست جغرافية تفصل شعوباً عن غيرها[٢].

أنواع الحدود وأشكالها:-

توجد عدة تصنيفات للحدود, الا أنها جميعاً تتفق على تقسيمات رئيسة ولعل من ابرزها:-

١- الحدود الدولية الطبيعية:

وهي الحدود التي تتبع المظاهر الطبيعية كألانهار والأودية والبحيرات, إذ تتميز بكونها حدود سهلة التحديد وتساعد على حماية الدولة لذلك فهي مهمة من الناحية الأستراتيجية والعسكرية[٣], وهي تعكس المفهوم الطبيعي لنشأة الدولة, وتعد أول واقدم وسيلة استخدمها الأنسان كحدود فاصلة تمنع تقدم الجماعات البشرية, ومن أهم وظائف هذه الحدود أنها تمنع تحقيق الأحتكاك بين الشعوب, في حين تتباين مظاهر السطح في أهميتها وصلاحيتها في تخطيط الحدود, فمثلاً السهول كانت مجالاً رحباً امام الغزاة لذلك كان لابد من أقامة التحصينات من أجل تأمين الدفاع عن تلك المناطق[٤].

لقد أتخذ الأنسان في أول الأمر الظواهر الطبيعية كالأنهار والجبال حدوداً للفصل بين أراضي الدول مع بعضها البعض لأنها حواجز طبيعية تحول دون تقدم الجماعات البشرية[٥], ونظرياً يمكن القول بأن افضل انواع الحدود الطبيعية هو خط الساحل البحري والمحيطي حيث تسيطر دولة واحدة فقط على حدودها التي لاتفصلها حينذاك عن دولة أخرى[٦]. ومن أهم الظواهر الطبيعية التي تعتمد في تخطيط الحدود ماياتي[٧] :-

---

١- قاسم الدويكات, الجغرافية السياسية, ط ١, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, ٢٠١١, ص٢٥٩.
٢- محمد أكرم الأحمر, مصدر سابق, ص١٥٣.
٣- قاسم الدويكات, المصدرنفسه , ص٢٦٨.
٤- محمد أكرم الأحمر, مصدر سابق, ص١٦٠.
٥- محمد متولي, ومحمود أبو العلا , الجغرافية السياسية , مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة, ١٩٨٣, ص١٥٥.
٦- فتحي محمد ابو عيانة, الجغرافية السياسية, دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية, ١٩٩٦, ص١٢٣.
٧- محمد فاتح عقيل, مشكلات الحدود السياسية " دراسة موضوعية تطبيقية في الجغرافية السياسية " منشأة المعارف, كلية كلية الاداب, جامعة الاسكندرية, مصر, ١٩٦٧, ص٦٥.

أ – الحدود الجبلية:

تتميز بكونها أكثر ملائمة لأقامة الحدود فهي تعرقل عوامل الحركة والأتصال وتشكل نقاط دفاع جيدة للدولة لكونها تعرقل حركة تقدم الجيوش لذلك تعد حدود حربية مميزة, ويعد(هولدش Holdich)[١] من انصار فكرة الحدود الطبيعية, إذ يعد الدفاع هو الهدف الأساسي للحدود، هذا من وجهة نظر (هولدش Holdich)، في حين إن(جونز jones)[٢] يرى إن الجبال ليست بالضرورة تكون أفضل خطوط الدفاع من وجهة النظر الحربية إذ يمكن للمهاجم إن يخترقها من الممرات, أن المناطق الجبلية تعد مناطق ذات تخلخل سكاني, لذلك فهي مناطق عازلة بين الدول ومن سلبيات الحدود الجبلية تحول دون التأم شمل القبائل التي تنتقل بشكل فصلي بين سفوح الجبال وأقدامها، وللممرات الجبلية أهمية استراتيجية إذ تسيطر على الانتقال من مناطق التضاريس, ومن هذه الممرات (ممر خيبر) شمال غرب باكستان الذي تكبد فيه البريطانيون خسائر جسيمة في الارواح. وكلما كانت السلاسل الجبلية متصلة كانت أصعب على الاجتياز, ويقوي مناعتها مقاومة السكان الجبليين وشدة بأسهم[٣].

وتظهر في الحدود الجبلية مشاكل تحديد أحواض الأنهار ومناطق تقسيم المياه فينتج ما يسمى بالأسر النهري وتتغير اماكن تقسيم المياه[٤]. وقد تحدث مشاكل وتتغير العلاقات الدولية لأن خط قمم الجبال وخط التقسيم لايتطابقان, حيث إن خط تقسيم المياه يختلف حسب انحدار الجبال وطبيعة صخورها, فيكون التصريف في الجبال الكارستية صعباً وليس لها خطوط واضحة لتقسيم المياه, وافضل مثال جبال زاكروس التي تفصل بين العراق وايران وجبال البرانس بين فرنسا واسبانيا.

ب – الحدود النهرية:

تشكل الانهار الحدود بين دولٍ عديدة في العالم مثل الحدود بين العراق وايران على طول شط العرب, ثمة حدود دولية كثيرة رسمت على اساس مجاري الأنهار؛ وذلك لأنها تشكل حدود سياسية لها مميزات معينة, لكونها تمثل ملامح طبيعية واضحة على سطح الأرض, على خلاف الجبال الواسعة الانتشار والأتساع وتتميز بأن لها قيمة عسكرية لكونها توفر خطاً دفاعياً يصعب

---

١ -Holdich, T., political Bound aries Geographical magazine, Vol . ١١, ١٩١٦, PP. ٥٠٣ .
٢ -jons, S. B., Bound ary making, washing tion, ١٩٤٥, PP ٩٨ - ٩٩.
٣- محمد أكرم الأحمر, مصدر سابق, ص١٦١.
٤- قاسم الدويكات,مصدر سابق, ص٢٧١ .

اجتيازه, ويمكن اعتبار بعض الأنهار عائقاً بوجه الاتصال وحاجزاً امام التواصل[١], للحدود النهرية سلبيات كثيرة إذ تعمل على الفصل بين الحضارة الواحدة في دول منفصلة وقد تحرم بعض الدول من حق استخدام مياه النهر برغم من وقوع حدودها على ضفافه[٢]. ومن أهم مشاكل خطوط الحدود النهرية هي التغير المستمر في مجاري الأنهار تبعاً لظروف ومكونات السطح مما يؤثر سلباً, إذ يؤدي الى صراعات سياسية ونزاعات عسكرية مسلحة مما يتطلب أعادة النظر بهذا التغير وأعادة ترسيم خط الحدود الذي يتماشى مع النهر كما هو الحال بين العراق وسوريا, إذ تقع دجلة إذ الضفة الشرقية ضمن السيادة العراقية والضفة الغربية ضمن السيادة السورية وهنا يكون النهر مشترك السيادة[٣]، وكذلك نهر دجلة بين تركيا وسوريا حيث إن النهر يشكل حداً فاصلاً بين الدولتين, وهذا يؤكد حقيقة ان ثلاث دول تتشاطئ على نهر دجلة هي ذاتها التي تتشاطئ على نهر الفرات.

جـ – الصحاري:

تعد الأقاليم الصحراوية مناطق حدود جغرافية تعمل على الفصل بين الدول, وتتصف الصحاري بقلة سكانها وبكونها صعبة الاجتياز لذلك اتخذتها بعض الدول مناطق عازلة بين المجتعات وأعدت تخوماً لهذا السبب, لكن بعد اكتشاف الموارد المعدنية لاسيما النفط برزت أهميتها وتحولت وظيفتها من كونها عامل فصل الى مركز تفاعل بين الدول المتجاورة[٤], وتعد الحدود الصحراوية مناطق حامية لكونها تقف عقبة امام الجماعات والجيوش, فالصحاري تعد حدود حاجزة ومن هذه الصحاري الحاجزة الصحراء الكبرى، ويصعب تحديد الحدود السياسية في الصحراء, لأنها جرداء وتخلوا من المظاهر البارزة كالتضاريس ولاستغلالها يصنع الأنسان خطوط هندسية مستقيمة وتوضح بأسلاك شائكة أو دعامات هندسية, وتنتشر المخافر الحدودية ومراكز التفتيش الكمركي على أبعاد متباينة فيها. فالصحاري بحد ذاتها تمثل مناطق أنقطاع بشري وتمثل فواصل بين الأقاليم الحضارية[٥]، فضلاً عن امكانية عقد اتفاقيات بين الدول المتجاورة بهدف تعزيز سياسة الجوار, ومن أمثلة الصحاري التي تمثل

١- خليل حسين, مصدر سابق, ص٥١٣.

٢- قاسم الدويكات, مصدر سابق, ص٢٧٥.

٣- عبد المنعم عبد الوهاب, وصبري فارس الهيتي, الجغرافية السياسية, مصدر سابق, ص١٢٧.

٤- محمد أزهر سعيد السماك, الجغرافية السياسية بمنظور القرن الحادي والعشرين بين المنهجية والتطبيق, مصدر سابق, ص٢٨٨.

٥- خليل حسين, مصدر سابق, ص٥١٧.

حدوداً سياسية في الوطن العربي هي الحدود العراقية مع دول الجوار الجغرافي ومعظم حدود الدول العربية في شمال افريقيا وحدود دول الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية[١].

٢- الحدود الدولية المصطنعة (غير الطبيعية):

وهي الحدود التي يقيمها الأنسان من دون أعتبار للظواهر الطبيعية بل مصطنعة توضع على شكل خطوط هندسية أو فلكية أو ثقافية ويمكن القول بأنها حديثة التكوين وهي نوعان:-

أ - الحدود الأتفاقية:

وهي الحدود التي يتم تعينها على اساس الاتفاق, أي انها لا تتقيد بالظواهر الطبيعية وترسم على شكل خطوط مستقيمة أو هندسية, وتسهل عملية تعيينها على الخرائط، ومعظم الحدود بين الدول العربية هي حدود مصطنعة, وضعتها الدول الأستعمارية من خلال عقد الأتفاقيات التي من أبرزها اتفاقية سايكس بيكو التي جاءت نتيجة للمراسلات بين الشريف حسين ووزير الخارجية البريطاني مكماهون سنة ١٩١٦م والتي قسمت الشرق الاوسط بضمنها شبه الجزيرة العربية[٢].

ب - الحدود الأثنوغرافية:

يعد هذا النوع من الحدود من ابرز ملامح فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م, وهي الحدود التي جاءت لغرض الفصل بين مجتمعات سياسية متجاورة تتحدث بلغات مختلفة وتدين بديانات مختلفة[٣]. أي تعزيز المجموعات الأثنوغرافية المختلفة, ومن أمثلتها الحدود بين العراق وايران, الا إن تعيين الحدود في الوطن العربي جاء حسب رغبة الأستعمار لذلك فصلت خطوط الحدود بين قبائل عربية ذات أصول وتقاليد وعادات مشتركة، وفصلت بين أراضي القبائل التي تمتهن الرعي وقسمتها الى ولايات سياسية, الا إن أغلب دول الشرق الأوسط راعت ضرورة التنقل الرعوي عبر الحدود كأمر حيوي بالنسبة لهذه القبائل[٤], مثل قبائل شمر بين العراق وسوريا وقبائل البشارية بين مصر والسودان, وبين العراق وعرب الأحواز التي ضمت الى ايران (عربستان).

١- جابر ابراهيم الراوي, الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الأيرانية " دراسة قانونية وثائقية ", مطبعة دار السلام, بغداد, ١٩٧٥, ص١٢٠ .

٢- محمد محمود السرياني, الحدود الدولية في الوطن العربي (نشأتها – تطورها – مشكلاتها), أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية, الرياض, ٢٠٠١, ص٦٠ .

٣- بهاء بدري حسين, وعبد الجليل عبد الفتاح الصوفي, مصدر سابق, ص١٣٩ .

٤- عبد المنعم عبد الوهاب, وصبري فارس الهيتي, الجغرافية السياسية, مصدر سابق, ص١٤٠ .

وظائف الحدود السياسية :-

للحدود السياسية وظائف عديدة ومهمة يمكن أجمالها بما يأتي:-

١- وظيفة الأمن والحماية:

تأتي وظيفة توفير الأمن والحماية في مقدمة وظائف الحدود, حيث يقيم السكان الاستحكامات العسكرية عند مناطق الحدود نظراً لأحتمال وقوع الغزو منها أو عن طريقها، كما يتم التركيز في مناطق الحدود على الناحية الدفاعية والهجومية والأمنية نظراً للتنافس ومحاولة السيطرة على المناطق الغنية بالموارد الطبيعية والمناطق ذات الأهمية الأستراتيجية[١]. يعد (هولدش Holdich)أول من أكد على هذه الوظيفة إذ قال "ان الدفاع هو الهدف الاساسي للحدود", وكان يرى إن الحدود ينبغي إن تتماشى مع مناطق الجبال كفواصل طبيعية, كذلك لا يقصد بالوظيفة الدفاعية المسألة العسكرية فحسب أنما يعني الدفاع الواسع عن سكان الوحدة السياسية بأسرها من الدمار العسكري أو من الأمراض أو من تسلل الأفكار المعادية من وحدات سياسية أخرى[٢], لذلك تنتشر نقاط الدفاع والمحاجر الصحية ونقاط التفتيش على مسارات الحدود الدولية لتحقيق هذه الأهداف. الا إن أزدياد أهمية الأسلحة الحديثة للدفاع وتغير أساليب القتال في البحر والبر والجو, أدى الى ضعف أهمية خطوط الحدود الدفاعية[٣].

٢- الوظيفة الاقتصادية:

تعد الوظيفة الأقتصادية من الوظائف المهمة للحدود السياسية؛ فالحدود هي الحاجز لدخول البضائع الأجنبية الى داخل الدولة, فالدولة تقيم الحواجز الكمركية لتمنع البضائع الأجنبية من منافسة البضائع المحلية وبذلك تحقق الحماية لها, تحدد الحدود السياسية نصيب كل دولة من موارد الثروة وتحيط الحدود بالأراضي التي تستغلها الدولة, وتعمد الدول على تعيينها بدقة لتلافي قيام المنازعات بين الدول ففي بعض الأحيان توجد حقول الثروة المعدنية على الحدود بين الدول, ويصبح تقسيم هذه الثروة مسألة صعبة جداً لأنها موجودة في باطن الأرض مثل حقول حديد اللورين بين فرنسا والمانيا[٤], وحقل نفط خانه بين العراق وايران, وحقول مجنون بين العراق والكويت، ولاحظ (لوش Losch) إن وجود الحد السياسي يؤدي الى حدوث تفاوت في اسعار السلع, ولقد درس لوش أثر الحد السياسي على

١- عبد الجليل عبد الفتاح الصوفي, وبهاء بدري حسين, الجغرافية السياسية المعاصرة وتطبيقاتها, مصدر سابق, ص١٤٣.

٢- محمد أزهر سعيد السماك, الجغرافية السياسية بمنظور القرن الحادي والعشرين بين المنهجية والتطبيق, مصدر سابق, ص٢٨٠ .

٣- محمد فاتح عقيل, مصدر سابق, ص٤٩.

٤- محمد محمود الديب , الجغرافية السياسية " منظور معاصر" , مصدر سابق , ص٦٤٧ .

المعاملات والصفقات الأقتصادية التي تعبره, واتضح له أنها ترتبط بالمسافة الجغرافية من الحد السياسي[١].

٣- الوظائف السياسية والقانونية للحدود:

يعبر الحد السياسي عن حالة فلكية أو وضع قانوني وشرعي سواء كانت الأطراف المشتركة فيه تعترف بهذه الشرعية أو تنكرها ولا يمكن أجتياز الحدود الدولية لدولة ما الا وفقاً للقوانين المتعلقة بذلك فكل دولة تحاول ان تحافظ على حدودها الدولية وتحافظ على شخصيتها السياسية داخل حدودها الدولية, إذ ان الحد الدولي تحدده القوانين التي سيخضع لها كل فرد طالما كان يعيش داخل الحدود السياسية للدولة حتى وان لم يكن من مواطنيها[٢]. كذلك أنتشار ظاهرة الأرهاب التي باتت تشغل الجهات الأمنية في كثير من الدول لاسيما الدول المتقدمة وهذا زاد من أهمية الحدود والسيطرة عليها, إذ أخذت الدول تمنع الكثير من المواد من دخول أراضيها وابرزها الكتب والمنشورات التي تدعو الى التطرف وتنمي الفكر الأرهابي لدى المواطنين[٣].

٤- تنظيم أنتقال الأفراد والتبادل التجاري:

تنظم الحدود أنتقال الأفراد والجماعات, على الرغم من إن الحدود السياسية رسمت اساساً للفصل الا أنه مع تطور الزمن أضيف للحد وظيفة اساسية وهي الأتصال بين المواطنين, تلجأ الدول إلى وضع قيود على هجرة العمال والأشخاص اليها, وهذه القيود تختلف من بلد الى آخر ومن فترة زمنية الى أخرى, ان تبادل السلع والخدمات بين الدولتين هو نتيجة لتطور العلاقات الأقتصادية والسياسية بين الدول أو لوجود مصالح بينهم, حيث يؤدي تحسن العلاقة بين الدول الى أزالة معظم التعريفات الكمركية والسعرية وأزالة المعوقات الأخرى من وسائل الحماية مما يزيد من حجم التبادل التجاري بين تلك الدول[٤]. فقد كان للحدود السياسية أهمية كبيرة من نصف قرن تقريباً اما في الوقت الحاضر تضائلت أهميتها, وتنادي أغلب الهيئات الدولية بحرية التبادل والأنتقال التجاري, حيث أنشأت الدول تكتلات أقتصادية مكونة اسواقاً مشتركة كي تسهل عبور السلع ورؤوس الأموال بين الدول وعبر حدودها السياسية[٥].

---

١ -Losch ,A., The economics of location new haren , U.S.A., ١٩٥٩, PP ٤٤٥ - ٤٥٧.

٢- محمد محمود ابراهيم الديب, الجغرافية السياسية " منظور معاصر", مصدر سابق, ص٦٤٩.

٣- محمد عبد المجيد عامر, الجغرافية السياسية والدولية أسس وتطبيقات, دار المعرفة الجامعية, الأسكندرية, بدون تأريخ, ص١٣٥.

٤- شير عبد الله الحرازي, التوزيع الجغرافي للتجارة الدولية اليمنية خلال العقد الأخير من الألفية الثانية, مجلة الدراسات الأقتصادية, العدد٨ , صنعاء , ٢٠٠٣, ص٩ - ١٠.

٥- محمد محمود ابراهيم الديب, مصدر سابق , ص٦٥١.

المبحث الثاني

مفهوم المستقرات (المدينة وإقليمها) الحدودية

المدينة ذاكرة مجسمة تنطلق نحو المستقبل مثلما تغوص في الماضي رغم كونها دائماً تعبر عن الحاضر فالمدينة خلاصة تأريخ الحضرية فهي كائن حي له رئة ولكن لا يتنفس, فهي الأنسان والأقتصاد والحكومة والسياسة والثقافة والفن والعمارة، وهي انعكاس لثقافة وتطور الأمم والشعوب, وهي صورة لكفاح الأنسان وموجهته للطبيعة، المدينة ظاهرة اجتماعية ينظر المجتمع من خلالها بتقاليده وعاداته وقيمة الخاصة, هذه العادات والتقاليد تتفاعل مع الثقافات الأخرى, فأنتجت مكان طبيعي للأنسان المتمدن, لهذا تعد المدينة أقليم ثقافي يتميز عن الأنماط الثقافية الأخرى.

المدينة لغة وأصطلاحاً:

تناول الكثير من العلماء والمختصين تعريف المدينة الا أن هذه التعاريف لم تكن أغلبها واضحة, لذلك ما ينطبق على مدينة لا ينطبق على أخرى, فالعلماء عندما عرفوا المدينة تأثروا باختصاصاتهم فعرفوها كل حسب وجهة نظرته الخاصة, فمنهم من عرف المدن في ضوء ثنائيات تتقابل بين المجتمع الريفي والحضري, ومنهم من عرفها في ضوء العوامل الأيكولوجية, ومنهم من تناول القيم الثقافية، فالمدينة في اللغة تعني مكان الأستقرار والأقامة وهي مشتقة من التمدن لغة[١].

كلمة مدينة مشتقة من كلمة ودنتهُ وتعني ملكتهُ فهو مدين مملوك[٢], وقد عرفت المدينة عند الآشوريين والأكديين بأسم الدين أي القانون, وقد اطلق العرب لفظة المدرة على المدن التي تكون كبيرة في حجمها[٣].

ورد ذكر المدينة في القرآن الكريم في سبعة عشر آية, ثلاث عشرة آية مكية, واربع آيات مدنية, وقد أتضح من التعبير القرآني ان كل المواضيع التي تناولت لفضة المدينة كان خلفها حكام وملوك يحاولون تحقيق الصيغة القضائية والدينية والأدارية والسياسية[٤]. ويوصفها الجغرافيين إن المدينة في عصورها المتلاحقة تحدث فيها مظاهر التغير والتحول سواء نحو التطور او الازدهار أو الانحدار[٥].

١- مجد الدين ابي طاهر محمد الفيروز أبادي, القاموس المحيط, ج ٤, ط٢, دار الكتب العلمية, القاهرة, ١٩٩٩, ص٢٧٠.
٢- عبد الجبار ناجي, مفهوم العرب للمدينة الأسلامية, مجلة المدن العربية, المنظمة العربية للمدن, العدد١٤, القاهرة, ١٩٨٤, ص٥٠.
٣- مجد الدين ابي طاهر محمد الفيروز أبادي, المصدر نفسه, ص٢٥٦.
٤- محمد عبد الستار عثمان, المدينة الأسلامية, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, ١٩٨٨, ص١٧.
٥- عبد الجبار ناجي, المصدرنفسه , ص٥٨.

المستقرات الحدودية مفهومها وتطورها:

المستقرات الحدودية هي عبارة عن مستوطنات بشرية تقع على تماس مباشر مع خطوط الحدود الدولية الخارجية, ولا يفصلها أي فاصل عن هذا الخط, ويكون لها عمق يتغير تبعاً لكل منطقة وظروفها الطبيعية[١]. ويمكن وصفها بالأقاليم المنتجة, فالمناطق الهامشية غالبا ما تشغل حواف الأقاليم المنتجة والهامشية, وهنا ليس بالضرورة ان تكون مواقع مهملة أو غير فعالة فأغلب مناطق الموانئ ذات مواقع هامشية الا أنها تمثل بوابات لظهير واسع يقع خلفها مثل البصرة التي تمثل بوابة العراق البحرية[٢].

من خلال ماتقدم يمكن القول إن المستقرات الحدودية هي مناطق هامشية تقع على هامش أقليم أو أطار أو نشاط بشري مثل موقع محافظة حلب في سوريا التي تأخذ موقعاً هامشياً متطرفاً[٣], وكذلك قضاء خانقين (منطقة الدراسة) التي يتمثل بها الشريط الحدودي الشرقي من العراق, تعد المناطق الحدودية نطاقات من الأرض, تشمل مساحات صغيرة أو كبيرة تخضع لتغير مستمر نتيجة للمارسات البشرية, وان أول ظهور للمدن في هذه المناطق كان في الأراضي الفيضية مثل وادي الرافدين ووادي السند في الهند, مابين الألف الثامن والألف السادس قبل الميلاد[٤].

مراحل تطور المستقرات الحدودية وأبرز وظائفها

مرت المستقرات الحدودية بمراحل متعددة حيث أخذت أهميتها تزداد وتتعاظم مع كل مرحلة, لذلك أخذت المستقرات الحدودية تسميات مختلفة وحسب المراحل, وقد رافق ذلك تطور في وظائف هذه المناطق، لذلك يمكن تقسيم مراحل تطورها ووظائفها وحسب تسمياتها الى ما يأتي:-

أولاً – مناطق الثغور أو مدن الثغور:

الثغر في اللغة هو الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين البلدان, وهو موضع المخافة من اطراف البلدان[٥]، اما الثغور اصطلاحاً هي المواضع القريبة من اطراف البلدان المتحاربة والمتصارعة[٦], ويقال ان كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً, لذا فأن مواقع الثغور تستبدل تبعاً لامتداد

١- J.R.V. Prescott, The Geography of fronties and Boundaries, Hutchinson and LTD., London, ١٩٦٧, pp ٣٤ - ٣٥ .
٢- محمد صالح ربيع العجيلي, مدن الموانئ العربية (تحليل جيوستراتيجي), دار الكتب والوثائق, بغداد, ٢٠١٠, ص٥٢.
٣- جمال حمدان, جغرافية المدن, ط ٢, عالم الكتب, القاهرة, ص٢٩٠.
٤- علي سالم شواورة, جغرافية المدن, دار الميسرة للنشر والتوزيع, عمان, ٢٠١٢, ص٨١.
٥- مجد الدين الفيروز أبادي , مصدر سابق, ص٣٨٢.
٦- عبد الكريم بن محمد السمعاني, الانساب, ج ٣, حيدر أباد, ١٩٦٢, ص١٣٧.

الدول أو تقلصها والثغور منها برية ومنها بحرية ومنها ما يجمع فيه الأمران مثلاً أنطاكيا[١].

إن الثغور هي مناطق تقع على حدود الدولة تقوم بوظائف عسكرية وأقتصادية , تتمثل الوظيفة العسكرية من خلال الدفاع عن المناطق الأخرى وصد هجمات العدو, اما الوظيفة الأقتصادية تتمثل بزراعة الأراضي الصالحة للزراعة التي تمتاز بمساحات مناسبة للزراعة فضلا عن وفرة المياه مما يساعد على زراعة المحاصيل الحقلية مثل الحنطة والشعير, وتربية الحيوانات وممارسة بعض الحرف مثل صناعة السيوف والأواني.

ظهرت أهمية الثغور في العهد الراشدي ولاسيما في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما)[٢], حيث كان لسياسة الخلفاء الراشدين والولاة الأثر الكبير في استقرار وانتقال اعداد كبيرة من المقاتلين إذ أنتقلوا ونقلوا معهم عوائلهم وأستقروا في مناطق الثغور, وكان الخلفاء يكرمون المقاتلين ويميزونهم عن غيرهم في مناطق أخرى وذلك بزيادة عطائهم ومنحهم الأراضي ودور السكن[٣], فقد أمر الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣ – ٣٥ هـ) / (٦٤٣ – ٦٥٥ م) معاوية بن ابي سفيان والي الشام والجزيرة وثغورهما بأن يرتب مجموعة من العرب المسلمين للمرابطة في مدينة ملطية التي أفتتحها عنوة, ثم اسكن فيها ونقل اليها مجموعة من القبائل العربية من الشام والجزيرة، وأمر بزيادة الرواتب للجنود المرابطين في الثغور والعواصم ومنحهم الأراضي الزراعية ودور السكن[٤], وقد أولى الخلفاء العباسيين ايضا اهتماما كبيراً للثغور والعواصم وذلك للمحافظة على حدود الدولة العربية الأسلامية من الغزو البيزنطيني, إذ نقل الخليفة ابو جعفر المنصور (١٣٥ – ١٥٨ هـ) / (٧٥٣ – ٧٧٥ م) أربعة الآف مقاتل من العرب وأسكنهم في مدينة ملطية, وأمر بنقل ألف مقاتل الى مدينة المصيصة[٥].

لقد كان لهذه الإجراءات الأثر الكبير في استقرار المقاتلين وعوائلهم في الثغور وأوجد لديهم دافع قوي للدفاع عن أموالهم ومناطقهم وعوائلهم خصوصاً عند اصطحابهم لنسائهم واطفالهم، وقد اهتمت الدولة العربية الإسلامية بالثغور بالدرجة الأولى والأساس لأن الثغور تمثل خط الصراع العسكري بين

١- ياقوت الحموي, معجم البلدان, مجلد ٢, منشورات مكتبة الأسدي, طهران , ١٩٦٠, ص٢٧.
٢- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري, فتوح البلدان, مصدر سابق, ص١٦٨.
٣- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري, المصدر نفسه, ص١٥٤.
٤-- ابو جعفر محمد بن جرير الطبري, تاريخ الرسل والملوك, تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم, دار المعارف, القاهرة, ١٩٦٧, ص٣١٧.
٥- طه خضر عبيد, مكانة الثغور عند الخلفاء العباسيين (١٣٢ – ٢٢٧ هـ) / (٧٥٠ – ٨٤١ م), مجلة التربية والعلم, العدد١٧, جامعة الموصل, ١٩٩٥, ص١١.

العرب والإمبراطوريات المحيطة بهم، ولكون هذه المناطق تحتل موقع الصدارة في الدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلامية من الاعتداءات الخارجية[١].

ثانياً – المستقرات العسكرية:

يبقى الغرض الأساس من اقامت مستقرات عسكرية على الحدود هو الهدف العسكري لذلك قامت الكثير من المدن الحدودية التي بدأت على شكل تجمعات بسيطة لا تتعدى كونها معسكرات للجند, وسرعان ما اصبحت مناطق ضمت مدن كبرى خلال سنوات متعددة[٢],إذ انشأتها دواعي الفتوحات الأسلامية على هوامش الصحراء واصبحت مع الزمن مدناً حدودية, حيث كانت مناطق لتوكيد الفتح الأسلامي وحاميات لتغذية جبهات القتال بالرجال والمؤن, ونقاط أرتكاز لحركة الفتح الأسلامي ومعالم لنشر الوعي الأسلامي وبذور انبعاث جديدة للحضارة الأنسانية[٣], ففي العصور الأسلامية انشأ العرب ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) شبكة من المناطق العسكرية[٤], ومن أهم الامور التي دفعتهم لاتخاذ هذه المستقرات معسكرات قرب الحدود, لقربها من الماء والمراعي الجيدة, فضلاً عن عدم وجود فواصل مائية تفصل هذه المدن عن العاصمة التي هي مقر لحكمهم, كذلك موقعها من الأطراف وبعدها عن السكان[٥], أي إن الوظيفة الحربية سواء أولية او ثانوية توجد في اصول الكثير من المناطق، فقد تجمع السكان وتقاربوا منذ البداية ليحسنوا امكانيات الدفاع عن انفسهم, لذلك ظهرت هذه في مناطق الخطر وهي الحدود التي تعد من اكثر المناطق ذات الأهمية الأستراتيجية[٦], أي إن أهم الوظائف التي يمكن ان تؤديها مناطق الحدود الاغراض السياسية المباشرة لكونها تحقق هدف الاستقرار السياسي وتكون منطلقاً لتحقيق الأهداف السياسية، فمثلاً الكوفة التي هي احدى المناطق التي مصرت في القرن ألاول الهجري خاصة بعد معركة القادسية[٧], اصبحت معسكراَ ثابتاً للقوات الإسلامية للإدارة العمليات السياسية والعسكرية كونها قاعدة للدفاع عن حدود الدولة العربية الأسلامية ونشر الدين الأسلامي[٨]. فضلا عن تطور الوظيفة الزراعية والوظيفة التجارية كونها ترتبط

١- ابو الفرج قوامة بن جعفر البغدادي, الخراج وصناعة الكتابة, تحقيق محمد حسين الزبيدي, دار النهضة للطباعة, بغداد, ١٩٨١, ص٢١٦.
٢- علي مفتاح عبد السلام الحولي, تخطيط المدن العربية الأسلامية الجديدة في العصر الراشدي (١٣- ٤٠ هـ) / (٦٣٤ - ٦٦٠م), دار زهران للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, ٢٠١٠, ص١١٠.
٣- المصدر نفسه, ص١٤٥.
٤- أحمد فكري, المدخل, مساجد القاهرة ومدارسها, القاهرة, ١٩٦١, ص١٨ .
٥- علي مفتاح عبد السلام الحولي, مصدر سابق, ص١١٧.
٦- صبري فارس الهيتي, جغرافية المدن, دار الصفاء للطباعة والنشر, عمان, الأردن, ٢٠١٠, ص١٠٩ - ١١٠.
٧- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري, مصدر سابق, ص٢٧٤.
٨- محمد بن سعيد البصري, الطبقات الكبرى, ج ٦, مطبعة الخانكي, بيروت, ١٩٥٨, ص٣١٢.

بأهم طرق المواصلات التي توصلها بدول العالم مثل الطريق الذي يوصلها الى الحجاز مثل مكة والمدينة والطائف واليمن وارتباطها ببلاد الشام عبر الطرق المحاذية لنهر دجلة والفرات، فضلاً عن ارتباطها بالبصرة عن طريق النهرين ومن خلالها بمناطق بلاد فارس[١], لقد برز العامل البشري في تخطيط الكثير من المناطق العربية الأسلامية من خلال الدقة في أختيار موقع المناطق المستقرات الحدودية حيث يراعي في اختيارها انها تكون مطله على المناطق المحيطة بها مما يتيح فرصة في الدفاع ومقاومة الأعداء ومنع تقدمهم فضلاً عن استخدام الأسوار والخنادق في تحصين هذه التجمعات وهذا جعل الكثير من المستقرات الحدودية القديمة تراعي البعد العسكري مثل المدن السومرية والأشورية في العراق وبعض مدن شمال ووسط سوريا. وأستمر العمل بنظام الأسوار والخنادق في العصر الأموي والعباسي حيث تم أدخال العديد من التحسينات على عملية التحصين وحفر الخنادق[٢]. فضلاً عن ذلك ذلك لم تقتصر الأسوار والحصون على القصور الملكية فقط[٣]. لكن شملت الأسوار مساحات واسعة من الأراضي المفتوحة التي استعملت للأغراض الزراعية [٤].

يتضح مما تقدم إن دول العالم كانت تهتم بتحصين مناطق المستقرات الحدودية بمختلف الوسائل مثل أنشاء الاسوار مثل (سور الصين العظيم) الذي بناه الأباطرة القدماء في القرن الثالث قبل الميلاد بين أقليم الصين ومنغوليا، وسور (ترجان) الذي يفصل بين أراضي روسيا ورومانيا وكان الهدف منه حماية التخوم الرومانية من هجوم الأقوام الأسلاف[٥]، كما تم أنشاء سور (بكين ول) بين انكلترا واسكتلندا في شمال بريطانيا، لكن هذه الأسوار والخطوط الدفاعية فقدت أهميتها حالياً بسبب تطور تكنولوجيا الحرب. يلاحظ ايضا إن المستقرات الحدودية في بادئ الأمر كانت على شكل معسكرات وسرعان ما تطورت هذه المعسكرات لتصبح مدن وقواعد يستريح فيها الجند بعد القتال, وسرعان ما تطورت هذه المستقرات الحدودية من خلال أنشاء قواعد اقتصادية لها, وتشجيع السكان المستقرين بها على استغلال الأرضي الصالحة للزراعة، كذلك تم توجيه عناصر محددة من السكان

١- وسام عبد الله جاسم الحسناوي, المسالك البرية في اسيا العربية حتى القرن الرابع الهجري, رسالة ماجستير, (غير منشورة), كلية التربية للبنات, جامعة بغداد, ٢٠٠٢, ص٥٠ – ٥٣.

٢- عبد الرؤوف عون, الفن الحربي في صدر الأسلام, دار المعارف, القاهرة, ١٩٦٠, ص٢٣٢.

٣- مؤيد سعيد, المدينة في عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي الحديث, ج ٣, حضارة العراق, دار الحرية للطباعة, بغداد, ١٩٨٥, ص٣٣٦.

٤- اياد كاظم داوود السعدي, طبوغرافية المدن الدينية والمدن السياسية (نفر – بابل – اشور) في العراق القديم منذ الألف الثالث حتى سقوط بابل ٥٣٩ ق . م , اطروحة دكتوراه, (غير منشورة), كلية الآداب, جامعة بغداد, ٢٠١٢, ص٤٤.

٥- صباح محمود محمد, الجغرافية السياسية, وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر, بغداد, ١٩٩٨, ص١٨١.

الى أنشاء حيازة زراعية بالقرب من هذه المدن لغرض تجهيزهم بالغذاء وادامتها، وبالنهاية فأن المستقرات الحدودية تمتاز بأنظمة دفاعية عسكرية استراتيجية على مستوى الموقع والتحصينات المتمثلة بالأسوار والخنادق, كذلك تمتاز المستقرات الحدودية بالتعقيد حيث يصعب اجتيازها مثل المدن الآشورية, فضلاً عن احتواء هذه المدن على مصانع أو منشأت خاصة لصنع السلاح وتخزينه ضمن المدينة[١].

ثالثاً – مستقرات (مدن) الموانئ:

كانت الأفكار الأسلامية هي الأفكار الأولى لقيام المستقرات الحدودية حيث إن أغلب هذه المستقرات أقيمت على هوامش المناطق الساحلية, إذ برع العباسيين في بناء هذه المستقرات الحدودية وعدوها مستقرات استراتيجية لها أهمية كبيرة في خدمة أمن دولتهم أو إمبراطوريتهم[٢].

تسمى مناطق الموانئ سابقاً بالمستقرات المحصنة وغالباً ما نجد هذه المستقرات في الثغور التركية والتونسية وسواحل المغرب, لكون هذه المستقرات تعتمد اساساً على موقعها الطبيعي, وتعبر هذه المستقرات عن الأستقرار والتحضر, لذلك كان ينظر اليها سابقاً على انها معسكرات للجند فقط لغايات عسكرية ودفاعية, في حين ينظر اليها حالياً بوصفها الأساس الذي قامت عليه حضارة وثقافة جديدة في الشرق[٣].

وقد تحولت هذه المستقرات الى مدن كبيرة ذات طابع سياحي وتأريخي كما في الأسكندرية وبيروت وطرطوس والبندقية. فضلاً عن ذلك المدن الأوربية التي تنتشر على البحر المتوسط مثل برشلونه في اسبانيا والبندقية في ايطاليا ومرسين في تركيا, تشكل معظم هذه المدن موانئ تجارية هامة في البلدان التي تقع فيها، لاسيما ان المدن التي ذكرت هي تطل على البحر المتوسط وذات طابع سياحي حيث أمتزجت الحضارات بين الشرق والغرب وشكلت تلك المدن جسراً للأمتداد والتواصل بين حضارات الدول المختلفة، فضلاً عن الأهمية الجيوستراتيجية لمدن الموانئ سواء من الناحية الأقتصادية لكونها تتحكم في التجارة الدولية وتسيطر على طرقها الملاحية فضلا عن كونها تعد منطاق الصدام والصراع الدولي من خلال الاهتمام الكبير للقوى السياسية بالمناطق البحرية[٤], من جانب اخر تمثل مدن الموانئ مراكز مهمة للتجمعات السكانية ومواقع صناعية وسوقاً تجارياً ومناطق سياحية وشرايين

١- نوفل ناظم هندي, خصائص الفكر التخطيطي للمستوطنات البشرية في بلاد ما بين النهرين (العراق القديم) للفترة (١٠٠٠ – ٥٣٩ ق . م), رسالة ماجستير, (غير منشورة), مركز التخطيط الحضري والأقليمي, جامعة بغداد, ١٩٩٠, ص٥٨.
٢- شاكر مصطفى, مصدر سابق, ص٣٢١.
٣- فالح حسن, نشأة الدولة الأسلامية, ط ١, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ٢٠١٠, ص١٠٨.
٤- محمد صالح ربيع العجيلي, مصدر سابق, ص٩٢.

حيوية للنقل والأتصال مع العالم الخارجي[١].

لقد أهتم الرومان في تخطيط المستقرات الحدودية, حيث ظهرت مدن تجارية على الجزر بشكل ظواهر صغيرة الحجم بسبب ضيق الجيوب الساحلية التي تعتمد عليها في تموينها بالمواد الغذائية, والى جانب المستقرات الساحلية أقيمت مستقرات القوافل وهي مستقرات قليلة العدد تقع على اطراف الصحراء تقوم كحلقة وصل بين مناطق السواحل الفينقية وبلدان الشرق الأوسط[٢].

تتميز هذه المستقرات بأهميتها الأقتصادية من حيث تعدد النشاطات الأقتصادية والخدمات لذلك أصبحت مناطق جذب للسكان وزادت نسبة الهجرة اليها[٣]. ويمكن النظر الى مستقرات الموانئ من زاوية أخرى, وهي القوة العسكرية والقدرة الدفاعية إذ إن أي تهديد على دولة ما تمتلك سواحل قد لا تتناسب أطوال هذه السواحل مع قدراتها البحرية سواء في عدد الأفراد أو في قدرة الأسلحة البحرية التي تمتلكها وهذا سوف يشكل مصدر تهديد لأمن الدولة وسياستها[٤], وعليه يعد الأهتمام العسكري والسياسي بمدن الموانئ أمراً غاية في الضرورة لكونها ممستقرات حدودية هامشية يمكن من خلالها تفادي اي خطر على البلاد[٥], تؤدي مستقرات الموانئ وضيفة عسكرية من خلال موانئها الحربية, أو استخدامها كظهير لمواقع عسكرية استراتيجية لحماية الحدود الساحلية للدول التي تعود لها سواء في السلم أو في الحرب. حيث تعرف مدن الموانئ بالمفهوم العسكري (بالمواقع السوقية) ففي وقت الحرب يترتب على هذه المدن السيطرة على مخارج ومداخل مواقع البحار التي تعود اليها فضلا عن مراقبة الأعداء وسهولة الحصول على المواد التموينية اللازمة لإدامة الجيوش وتجهيزها, اما في وقت السلم تدعم العلاقات التجارية وتنشط التفاعل الحضاري والفكري بين الدول العائدة لها والعالم[٦]. لكن في الوقت نفسه قد تتضارب مصالح الدول في محاولة لبناء اقتصادها على حساب الدولة المجاورة لها، ومن الامثلة على ذلك ميناء مبارك الكويتي الذي له أثر كبير على موانئ العراق التجارية فعلى الرغم من أهمية هذا الميناء بالنسبة للكويت الا أن له أثار اقتصادية كبيرة على الاقتصاد العراقي ويعمل على تضييق الخناق على موانئ العراق التجارية المطلة على الخليج العربي[٧].

١- المصدرنفسه , ص٩٣.

٢- عبد الفتاح محمد وهيبة, في جغرافية العمران, دار النهضة العربية, بيروت, ١٩٧٣, ص٤٠ – ٤١.

٣- محمد رياض, جغرافية النقل, دار النهضة العربية, الأسكندرية, ١٩٧٧, ص١٦٥ .

٤- سعيد عبده, جغرافية النقل في الوطن العربي, ط ١, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, ١٩٩٧, ص٦٠٢.

٥- محمد صالح العجيلي, مصدر سابق, ص١٤.

٦- المصدرنفسه , ص٥٥.

٧- محمد راضي جعفر, الأثار الأقتصادية لأنشاء ميناء مبارك الكويتي على الموانئ العراقية, مجلة الأقتصاد الخليجي, العدد ٢٤, مركز دراسات البصرة والخليج العربي, جامعة البصرة, ٢٠١٣, ص٣.

المبحث الثالث

الأهمية الاستراتيجية للمستقرات الحدودية

تعد المستقرات الحدودية ذات أهمية كبيرة في أغلب دول العالم, وذلك لكونها تمثل الواجهات الحضارية لها. ومما يزيد من أهميتها وجود الثروات الطبيعية لاسيما الموارد المعدنية, ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة مثل النفط والغاز الطبيعي والمعادن الأخرى, وهذا يجعلها محط أنظار دول الجوار, وبالتالي فأن الكثير من المناطق الحدودية تعاني عدم الاستقرار, وفي الوقت ذاته تتميز بإمكانيات تنموية كبيرة ومتنوعة مثل الإمكانيات الطبيعية والبشرية المتمثلة بالإمكانيات الزراعية والتجارية والصناعية والسياحية، إذ أن معظم المناطق الحدودية تتميز بتنوع مظاهر السطح كالسهول والتلال والجبال, لذلك تصلح للسياحة والاستجمام, واستقرار السكان فيها بعد استقرار الأوضاع السياسية في دول العالم, والتزام الدول بحدودها, الأمر الذي جعل المناطق الحدودية المخلخلة سكانياً مناطق استقطاب لأعداد السكان باتجاه تلك المناطق الحدودية كما هو الحال في مدينة خانقين.

وقد تبرز الأهمية الاستراتيجية للمستقرات الحدودية من خلال كونها معسكرات ومناطق استراحة للجند بعد وقوع الحرب, وفي ذات الوقت مراكز لتموين ساحات القتال بالمؤن الغذائية والمعدات والجنود, فمثلاً في شمال أفريقيا ظهرت أهمية المستقرات الحدودية من خلال البعد العسكري والدفاعي لهذه المناطق, حيث اقام محمد بن علي السنوسي في المناطق الصحراوية والهامشية الحدودية (١٤٦) زاوية, أي مستقرة حدودية وهو من اطلق عليها تسمية (مستقر) انتشرت هذه الزوايا في ليبيا ومصر ومن خلالها تكبد الغزاة من الأتراك والإيطاليين خسائر كبيرة, لذلك تعد تجربة الزوايا تجربة كبيرة وذات أهمية بارزة في حراسة المناطق الحدودية والدفاع عنها[١]، وتبرز الأهمية الاستراتيجية للمناطق الحدودية من خلال محورين هما:

١ – أهمية المستقرات الحدودية بالنسبة للدولة:

اختلفت دول العالم في مجال تطوير المستقرات الحدودية وتخطيطها وذلك بسبب طبيعة الفلسفة السياسية لكل دولة فضلاً عن طبيعة دول الجوار الجغرافي لها وطبيعة العلاقات السائدة بينهم فضلاً عن الأهمية الأستراتيجية لتلك المستقرات الحدودية وما تحويه من ثروات وموارد يمكن أستثمارها

١- محمد أحمد غنيم, المدينة دراسة في الانثربولوجية الحضرية, دار المعرفة الجامعية, الأسكندرية, ١٩٨٧, ص٢٨٢.

أقتصادياً, لذلك نجد أغلب دول العالم تحاول استثمار تلك المناطق بأنشاء مشاريع أقتصادية بغية معالجة الخلل السكاني لتساهم في جذب السكان الى هذه المستقرات وبالتالي تحقيق الأمن والحماية للمناطق الحدودية وجعلها عامرة بالسكان والأنشطة الاقتصادية.

تكمن أهمية المستقرات الحدودية بالنسبة للدولة التي تعود اليها بوصفها جدار صد وأنذار مبكر لأي قوات عسكرية نظامية أو غير نظامية تحاول الهجوم على دولتهم, إذ تزود أغلب هذه المستقرات بوحدات عسكرية من الجيش لمساندة سكان هذه المستوطنات الحدودية فهي تعوق أي هجوم معادي[١].

مما تجدر الإشارة اليه أنه في بعض الدول تسعى الى تنمية المستقرات الحدودية من خلال تشجيع النشاط الزراعي والصناعي في تلك المناطق, من خلال أنشاء المزارع وتربية الحيوانات، وعلى سبيل المثال في الصين التي تتميز بكونها ذات أمتداد مساحي واسع والحدود الطويلة مع دول جوارها, عمدت الحكومة الى نشر المستوطنات الريفية على طول مناطقها الحدودية من خلال تشجيعهم على الزراعة وتوفير الإمكانيات الزراعية كافة ، مما يؤدي الى جذب السكان الى هذه المناطق, ويؤدي الى بناء قاعدة أقتصادية لهذه المستقرات الحدودية، وبالتالي جعل هذه المناطق ذات أهمية استراتيجية من خلال جذب السكان اليها[٢], فضلا عن دعم القطاع الزراعي والصناعي في تلك المناطق، وبالتالي زيادة الدخل القومي لتلك الدول.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن قيمة المناطق الجغرافية في كافة دول العالم تختلف بأختلاف البيئات الطبيعية التي تشملها, كما إن هذه القيمة تتغير كلما زادت درجة استغلال الأرض وأستثمارها, أي بتقدم المستقرات البشرية بوجه عام، فمثلاً أكتشاف الذهب في وادي نهر يوكون في ولاية الأسكا, واستغلال مناجم الحديد في مرتفعات اللورين الواقعة بين فرنسا والمانيا, أدى ذلك الى جذب الكثير من السكان الى تلك الأقاليم النادرة السكان, أي إن المناطق الحدودية تتغير وظيفتها بسبب أكتشاف الثروات في تلك المدن[٣]، ويبقى الغرض الأهم من الأقاليم الحدودية هو الأمن والحماية من الغزوات المفاجئة, ويبقى هذا الغرض اساسياً بين الممالك التي بلغت شأناً عظيماً من المدينة فمنذ عام ١٨٧١ بدأت فرنسا في اقامة سلسلة من التحصينات على طول الحدود الشمالية الشرقية وهي أكثر حدودها

١- المؤسسة العربية للدراسات والنشر, الموسوعة السياسية, دار الكتب, بيروت, ١٩٧٤, ص١٩٣.

٢- أحمد حسون السامرائي, جغرافية اوراسيا (دراسة في الجغرافية الأقليمية), مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر, الموصل, ١٩٩١, ص١٣٨.

٣- المصدرنفسه, ص١١٢.

تعرضاً للخطر, وكذلك الحال بالنسبة لألمانيا التي انشأت تحصينات قوية بينها وبين روسيا[١], اما الغرض الثاني من المستقرات الحدودية هو تنظيم الأتصال بالغير وتزداد أهمية هذين الغرضين تبعاً لطبيعة المستقرات التي تجاورها, فأذا لم تكن اطراف المستقرات الحدودية آهلة بالسكان فأن الحدود تكون وظيفتها تقتصر على الفصل بين الدولتين, اما اذا كانت آهلة بالسكان فأن الأتصال بين الأقاليم وما يجاورها يكون أقوى وأكبر, مثل الحدود بين السويد والنرويج, فالتجارة الخارجية للنرويج بينها وبين جارتها السويد أقل من ٥٪ في حين تجارتها مع الدنمارك إذ يفصلها البحر أهم وأكبر بكثير[٢].

٢- أهمية المستقرات الحدودية بالنسبة لدول الجوار:

إن العوامل التي تحدد أهمية موقع المستقرات الحدودية, هو في حالة كون هذه المستقرات تتمتع بموقع جغرافي استراتيجي يمكن ان يلبي الحاجات العسكرية الأسترتيجية, فضلاً عن استغلال الموارد الطبيعية في تلك المستقرات, وتنمية امكانية الأرض كذلك توزيع السكان[٣]، بصورة متساوية دون أي تخلخل في تلك المستقرات, وكما هو الحال بالنسبة للكيان الصهيوني الذي أنتهج سياسة توسعية على الأرض الفلسطينية من خلال أنشاء مستوطنات اسرائيلية على أرض فلسطين لاسيما قرب حدود الدول المجاورة لفلسطين, والغرض من أنشاء هذه المستوطنات هو تحقيق أبعاد سياسية، عسكرية، توسعية، أستيطانية، فضلاً عن الأبعاد الأقتصادية, وبالتالي تحقيق المخططات الصهيونية والذي مازال مستمراًعلى هذا النهج ، وكان الهدف من هذه المستوطنات أعاقة عمل قوات المقاومة الفلسطينية, ودعم الأقتصاد الصهيوني من خلال مزاولة الأنشطة الزراعية والصناعية, حيث تم أنشاء (١٢) مستوطنة صناعية في المناطق الجبلية لضعف الأمكانيات الزراعية وأصبحت بديل لمعسكرات الجيش الصهيوني في تلك المناطق الحدودية[٤].

استفاد الكيان الصهيوني استفادة كبيرة من المستوطنات التي أنشأها على الحدود فضلاً عن حراسة حدوده وحماية أمنه حيث تم أنشاء (الموشاق التعاوني)، وهي مستوطنات تعاونية تعمل على الصناعة في المناطق الحدودية، وفي الوقت نفسه يعمل العمال المستوطنين في هذه المستوطنات على حراسة هذه الحدود, كذلك أقام الكيان الصهيوني مستوطنات (النحال) التي تضم هذه المستوطنات

١-المصدر نفسه , ص١٢١.
٢- المصدر نفسه , ص١٢٥.
٣- محمد أحمد غنيم, مصدر سابق, ص٢٨١.
٤- عبد الرحمن ابو عرفة, الأستيطان التطبيق العملي الصهيوني, ط١, دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية, عمان, ١٩٨٦, ص٩١.

شباب مدربين على القتال, يتركزون قرب الحدود اللبنانية والسورية والأردنية إذ يمارسون النشاط الزراعي فضلا عن حماية تلك المناطق الحدودية حيث توزعوا على تلك المناطق وعلى مراكز الأمن الحدودية[١].

إن أغلب المستوطنات الحدودية التي وضعها الكيان الصهيوني على الحدود كانت تعمل على تحقيق الأمن الذاتي للمنطقة[٢]. وأغلب مهام هذه المستوطنات السيطرة على محاور الطرق الرئيسة, والتنسيق بين المستوطنات المتجاورة, ويمكن القول ان أغلب دول العالم تنشأ المستقرات الحدودية ويزيد أهتمامهم بهذه المستقرات بدافع أمن وحماية البلد بكامله وتعمل على تشجيع الأنشطة الزراعية والصناعية من اجل جذب السكان وملئ هذه المستقرات الحدودية بالسكان لكي تصبح هذه المناطق دروع وحماية بشرية ضد أي عدو، وبالتالي فأن لهذه المستقرات أهمية عسكرية وأقتصادية تعمل على دعم أقتصاد البلاد.

١- هيثم الكيلاني, المذهب العسكري الأسرائيلي, مركز الابحاث, سلسلة كتب فلسطينية, رقم ١٩, بيروت, ١٩٦٩, ص١٤٠.

٢- عبد السلام ابراهيم البغدادي, مفهوم الكيان الصهيوني للأمن القومي, وزارة الثقافة والاعلام, دار الشؤون الثقافية العامة, دار الحرية للطباعة والنشر, بغداد, ١٩٨٥, ص٣١١.